لماذا يضعف الإيمان؟

أسبابه - مظاهره - علاجه

السيد سامي خضرة

دار المحجة البيضاء

لماذا يضعف الإيمان؟

اسبابه ـ مظاهره ـ علاجه

لماذا يضعف الإيمان؟

أسبابه ـ مظاهره ـ علاجه

السيد سامي خضرة



دار المحجة البيضاء

بيروت ـ لبنان

الطبعة الرابعة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

المقدِّمة

هذه الكلمات

أكتبها لنفسي...

وإخواني

وأحبّائي...

ليُذكِّروني بها،

بعد أنْ قسا قلبي،

وقبل أن يُنادي المنادي

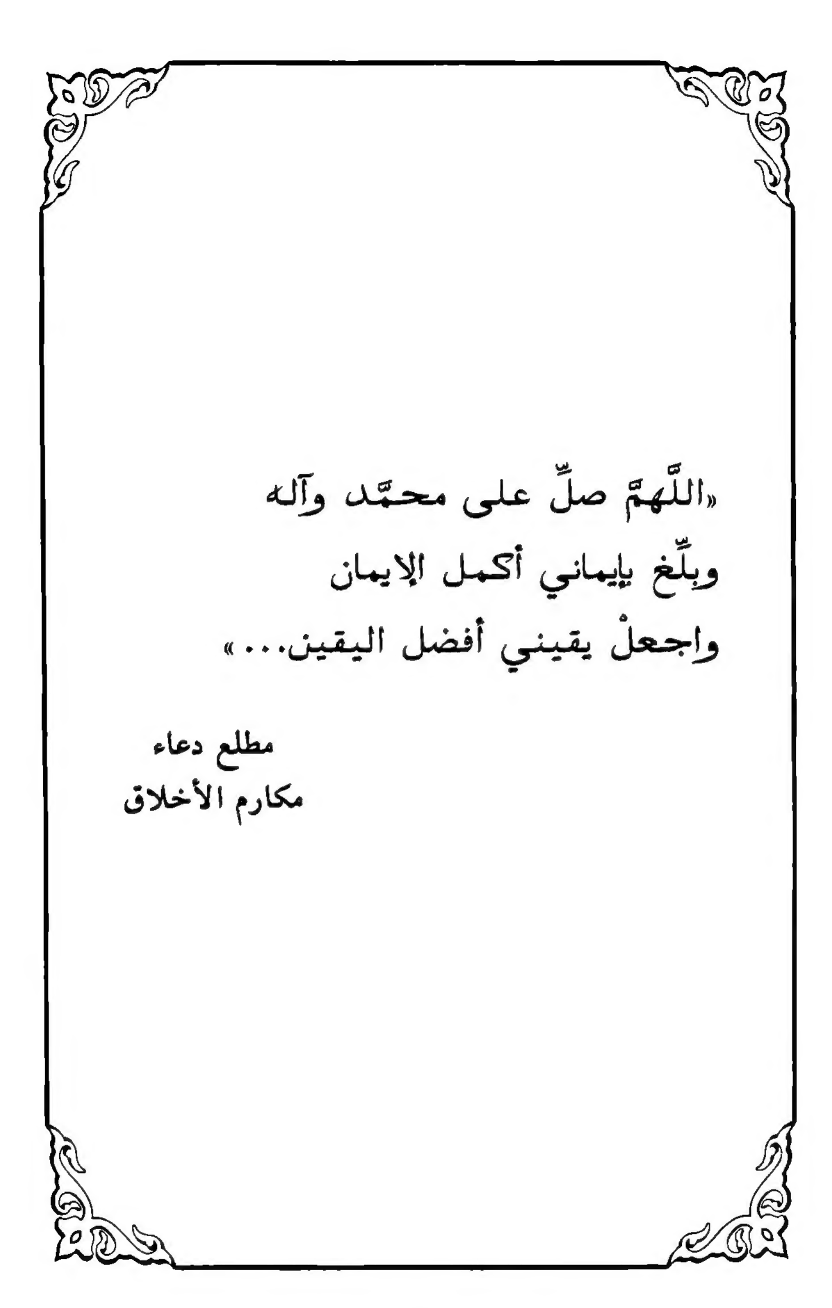
﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[1].

١ رجب الأصبّ برحمة الله ١٤١٨هـ

سامي خضرة

---

(١) سورة ق المباركة، الآية ٢٢.



«اللّهمَّ صلِّ على محمَّد وآله
وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان
واجعلْ يقيني أفضل اليقين...»

مطلع دعاء
مكارم الأخلاق

القصَّة من أوَّلها

عندما يلتزم الإنسان بأحكام الله تعالىٰ، يفرح فرحاً شديداً بهذه النِّعْمة الكبيرة التي أُنزلت عليه، وهو يطمع، وهذا إحساس طبيعي، أن يرتفع بإيمانه إلى درجات سامية ومراتب عالية، فيتعب في طلب ذلك بالطرق التي يراها مناسبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[1].

ثمَّ، وبعد فترة من الزمن، الذي كان يظنُّ كفايته للوصول إلى المأمول... نجد أنَّ ضعفاً أصابه، ووهناً أخذ يُداخله..

لكنَّ الأكثرية لا تأبه لذلك.. ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[2].

وتزداد علامات الضعف مع الزمن، تماماً كأيِّ مرض

(١) سورة الإسراء المباركة، الآية ١٩.

(٢) سورة الأعراف المباركة، الآية ١٤٦.

يُترك أو يُهمل... وصاحبنا منصرف عن معالجة نفسه وإسعافها:

إمَّا لعدم التفاته لمرضه أصلاً.

وإمَّا لاغتراره ببعض أعماله وعباداته، وهو يحسبُ أنَّه يُحْسنُ صُنْعاً.

وإمَّا «سُكراً» واستكانة لمدح الناس له وإعجابهم به «فسُكْر الغفلة والغرور أبعد إفاقةً من سُكْر الخمور» «ذاك حيث تسكرون من غير شراب، بل من النِّعمة والنَّعيم».

وإمَّا لاستخفافه بحالته ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1].

وإمَّا لانشغاله عمَّا هو أهم!!!

وإمَّا لضعف همَّته وشهامته ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

وإمَّا لضعف الوازع والرادع.

وإمَّا لفقدان الموجِّه والأُسوة والقُدوة.

وإمَّا لاستغراقه في اللَّهْث وراء الجاه والمال

(١) سورة النُّور المباركة، الآية ١٥.

(٢) سورة التوبة المباركة، الآية ٣٨.

والسلطان. . مع أنَّ الله جلَّ جلاله مدح الذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1].

وإمَّا قياساً لنفسه مع أهل سوء من أصحابه وأقرانه.

وإمَّا لاغتراره بطول أمله وبُعْد أجله.

وإمَّا لتعلُّق قلبه بذنب أو معصية استحوذت على قلبه فأنْسته ذكر الله تعالىٰ.

وأيَّاً كان السبب أو كانت الحال: فالإيمان يضعف، والعمر يمضي، والأجل يُسرع و﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[2].

وكُلَّما تُركت هذه الحالة وأُهملت، تأصَّلت واستَفْحلت. . . حتى يغلب السواد على البياض، فلا يُفلحُ بعدها أبداً، والعياذ بالله جلَّ ثناؤه.

لا يُفلحُ لأنَّه ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3].

فمن الأخطاء العظيمة عند أهل الإيمان أن يظنُّوا أنَّ الزمن والوقت كفيلان لحفظ الالتزام، فيقلُّ البلاء، وتضعف المراقبة، وتُهمل المحاسبة. . . بشبهة أمن الطريق!

---

(١) سورة القصص المباركة، الآية ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء المباركة، الآية ١.

(٣) سورة المطففين المباركة، الآية ١٤.

وهذا مخالف لصريح مفاهيم الإسلام وقواعده المعروفة، في أنَّ البلاء يكبر مع الإيمان، والامتحان يعظم مع الزمن...

بل تتنوَّع الإغراءات والشُّبهات والشهوات بأشكال ومستويات وطرق... لم تكن لتخطر على البال.

ولا مبالغة في وصف ذلك: بعد أن ظهر للعيان، وقامت التجربة بالبرهان.

ولبراءة الذمَّة لا بُدَّ من القول:

إنَّ الخطورة تعظم مع تقدُّم العمر... وكِبَر الإيمان.

وقد رأينا حولنا قوماً من الكبار قد أذهلهم الخوف، وأضناهم الحذر، حفاظاً على إيمانهم.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك حُسْنَ العاقبة.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك من العديلة عند الموت.

ربِّ:

قد أوْدعتُك يقيني وثباتَ ديني، وأنت خيرُ مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فرُدَّه عليَّ وقت حضور موتي، وثبِّتْ قلبي على دينك... حيث نُقل عن نبيِّك ﷺ:

«وقلبُ المؤمن أشدُّ تقلُّباً من القدْر في غليانها»[1].

وهذا الخوف والحذر من أهل الإيمان ليس مستهجناً.. بل المستهجن عدمه، فهم: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[2].

و«إنَّ من أحبِّ عباد الله إليه، عبداً، أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحُزْن، وتجَلْببَ الخوف... نظَرَ فأبصر، وذكر فاستكثر... قد خلع سرابيلَ الشهوات، وتخلَّىٰ من الهموم إلَّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمىٰ، ومشاركة أهل الهوىٰ، وصار من مفاتيح أبواب الهدىٰ، ومغاليق أبواب الرَّدىٰ... يقول فيُفْهِمُ، ويسكُتُ فيَسْلم، قد أخلص لله فاستَخْلَصَه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أوَّل عدلهِ نفيُ الهوىٰ عن نفسه»[3].

فعلىٰ كلِّ مسلم يُؤمن بالله واليوم الآخر:

١ ـ أن يُداوم المحاسبة والمراقبة طوال عمره، طال أو قصر.

---

(١) المحجة البيضاء: ج٥، ص٣٥.
(٢) سورة النُّور المباركة، الآية ٣٧.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٢ ـ وأن لا يتَّكل في ذلك على أحدٍ من الآدميين.

٣ ـ وأن يعلم أنَّ جهاده الأكبر، جهادَ النَّفس التي بين جنبيه لا يتوقَّف ما دامت موجودة، وفيه عرق ينبض.

لأنَّ ﴿ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[1].

٤ ـ وأنَّ الخطر عليه يزداد كلَّما ازداد مالُهُ أو جاهه أو سُمْعته أو صيتُه أو زاد على ألسنة الناس ذكره، أو مدحُه. .:. أو علا سلطانُه وأُبَّهتُهُ.

«فلا ترفَعْني في الناس درجة إلَّا حططتني عند نفسي مِثْلها، ولا تُحدثْ لي عزّاً ظاهراً إلَّا أحدَثْتَ لي ذِلَّةً باطنةً عند نفسي بقدرها»[2].

٥ ـ أن يتواضع لِمَن أمْحَضَهُ النصيحة ولِمَن أخلَصَهُ العلم.

٦ ـ أن يشكر شكراً حقيقياً وجدِّياً مَنْ حذَّره على عيبٍ من عيوبه.

٧ ـ أن يستزيد من كُتُب السلف الصالح من أهل

---

(١) سورة يوسف المباركة، الآية ٥٣.

(٢) من دعاء مكارم الأخلاق.

الورع والتَّقوى والسلوك: قراءة وتأمُّلاً وتكراراً... والأهم من كل ذلك، التطبيق.

وبتعبير آخر:

أن لا يقرأ عن سُنَّة أو فضيلة أو نصيحة... إلَّا أخذ بها وضمَّها إلى كنوزه الإلٰهيَّة وتزوَّد بها لآخرته.

وقبل كل هذا، وخلاله، وبعده... أن يستعين بالله جلَّ ثناؤه، وهو مؤمنٌ أنَّه أرأف من الأُمّ بولدها ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1] ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[2] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[3].

فما هي أسباب ضعف الإيمان؟

وما هي مظاهر وعلامات ذلك؟

وكيف يكون العلاج؟

---

(١) سورة الطلاق المباركة، الآية ٣.

(٢) سورة التغابن المباركة، الآية ١١.

(٣) سورة الحشر المباركة، الآية ٢٠.

الفصل الأوَّل

أسباب ضعف الإيمان

لا بُدَّ من المعرفة ابتداءً أنَّ القلب هو الذي يُؤثِّر على جوارح الإنسان، فتُقْدم على العبادات بفضل أنواره، أو على الفواحش بسريان آثاره.

فلا بُدَّ للقلب أن يُقبل على الله تعالىٰ خالصاً من كلِّ شوائب الدُّنيا الفانية ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] ليكون مقيماً على الطاعة، حيث قيل:

«مَنْ كان لله، كان الله له»[2].

وفي ما أوحى الله تعالى إلى داود «أنِّي حبيبُ مَنْ أحبَّني»[3].

(١) سورة الأعراف المباركة، الآية ٢٩.

(٢) المحجة البيضاء، ج٥، ص٣٤.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٣١٣٤.

وإنَّما يكون ذلك بتحصين القلب عن مداخل السوء والحرام والقساوة وما يُمكنُ أن يُفْسده، فهذه مداخلُ خطرة، لِمَنْ لم يتحصَّن منها، وهي «أسباب ضعف الإيمان».

والأساسُ الخطير الذي ينبغي الالتفات إليه، في هذا المجال، أنَّه:

«ما قست القلوب إلَّا لكثرة الذُّنوب»[1].

ومن هذه المداخل الخطرة (أسباب ضعف الإيمان):

١ ـ ارتكاب المعاصي والتهاون بها والإصرار عليها: وهذا من السوء بمكان لأنَّه يُفسدُ الإيمان بسرعة قياسية، حيث لا يختلف عندئذٍ أهلُ الخير عن أهل الشَّر، وأهل الإيمان عن أهل الشِّرك في سلوكهم وأعمالهم.

ويركب صاحبُ هذه الصفة المعاصي، نعوذ بالله تعالىٰ وتركبه، ويُسلبُ نورُ الإيمان... فلا يلبث أن يهوي ويسقط.

فالله سبحانه ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٦٦٢٩.

إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[1]، فكيف يكون مؤمناً مَنْ عمل بما كرَّه الله له؟!

وكيف لا يحذر من «سُكْر» الخطيئة التي حدَّثنا عنها نبيُّنا محمَّد ﷺ «فإنَّ للخطيئة سُكْراً كسُكْر الشراب بل هي أشدُّ سُكراً منه، يقول الله تعالىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[2].

والمؤمن الصادق المخلص لإيمانه هو الذي يرى ذنبه كأنَّه صخرةٌ «يخاف أن تقع عليه، وإنَّ الكافر ليرى ذنبه كأنَّه ذباب مرَّ على أنفه»[3].

والذُّنوب الصغائر هي الطرق إلى الكبائر «ومنْ لم يخفْ الله في القليل، لم يخَفْه في الكثير»[4].

٢ ـ **مزاملة القاسية قلوبهم**: فيتأثَّر بهم وإنْ من حيث لا يشعر، ويستهين ويُدرِّبُ عينه وسَمْعَه على المنكر والفساد، وتضعف همَّتُهُ، وينسى ذكر الله عزَّ وجلَّ، ويهدُرُ وقتُه، ويضيع عُمُرهُ، ويُقامر بحسناته، ويبيع آخرته بثمن بخس لقوم لا يُقدِّمون ولا يُؤخِّرون، وهم منه مُتبرِّئون ﴿إِذْ

---

(١) سورة الحجرات المباركة، الآية ٧.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٥٦٣٦.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٦٥٨٩.

(٤) ميزان الحكمة، الحديث ٦٥٩٥.

﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ... ﴿١٦٦﴾ ... كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾[1].

ويعتاد على العبث وكثرة الكلام والسُّخْف...

فيهلك قريباً ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾[2].

٣ ـ الضحك بعد اقتراف الذنب: وهذه إشارة إلى هشاشة الإيمان، وإلى ضعف اليقين بالآخرة والثواب والعقاب، وإلى الغفلة عن حقِّ الله تعالىٰ، وإلى سطحية التديُّن...

وإلى أنَّ صاحبه غافلٌ عن دخول العقارب المعنوية لتنهش نَفْسَه الضعيفة المريضة.

«وإيَّاك والابتهاج بالذنب، فإنَّ الابتهاج به أعظم من ركوبه»[3].

٤ ـ الألفة بالمنكرات: وهذه من مظاهر الوقاحة حيث الألفةُ أو الاستئناسُ أو الفرح أو التَّمني للفواحش والمنكرات...

وكأنَّ صاحب هذه الحال نزع عن نفسه صفة الالتزام

---

(١) سورة البقرة المباركة، الآيتان ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) سورة المائدة المباركة، الآية ٩٥.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٦٥٧٠.

بل الإسلام، وهدم الجدار بينه وبين المنكر وأهله بل أصبح شريكاً لهم في غيِّهم وطغيانهم وجرأتهم على مولاهم الحقّ.

فلا يكتفي بفعله من كذب أو سرقة أو غيبة أو فتنة أو سوء ظنّ أو وقيعة... بل يسعُدُ بذلك ويفرح ويسعى إليه، ويرى كماله فيه، ووجودهُ في إتيانه!..

بلِ إذا كان جالساً أو مُسْتلقياً تمنَّى ذلك ورغب في وقوعه.

والأخطر أنَّه يستوحش إذا لم تتيسَّر له الأسباب... بدل أنْ يؤوبَ ويتوب لأنَّ الله عزَّ وجلَّ، برحمته، حال بينه وبين شهوته.

ولن يموت هذا، إنْ لم يتُبْ، نعوذ بالله، إلَّا على حسرة وندامة:

حسرةٍ على الدُّنيا التي فاتت، وندامةٍ على الآخرة إنْ قامت.. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[1].

فإنْ مات ابنُ آدم، قامت قيامتُه.

وإنْ كان الله تعالىٰ قد أجَّل عذابه أو أخْذَهُ فبرحمته

---

(١) سورة سبأ المباركة، الآية ٥٤.

«فإنَّ لله عزَّ وجلَّ في كل يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رُتَّع، وصبية رُضَّع، وشيوخ رُكَّع، لصبَّ عليكم العذاب صباً»[1].

٥ ـ قلَّة الحياء:

(أ) في القول، كذكر السُّباب والشتائم والكلمات المحرَّمة أو المستغربة أو التي لا تليق... والتصريحِ بارتكابه ما لا يجوز أو ابتلاءاته الشرعية... أو التجاهر بها «ولا إيمان لِمَن لا حياء له»[2].

فالله سبحانه لا يُحبُّ أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا.

وليس مُعافى مَنْ عمل المعصية باللَّيل، فيستره ربُّه، وعند الصباح يقول: يا فلان إنِّي عملتُ البارحة كذا وكذا[3].

(ب) وفي الفعل، كأنْ لا يخجل ممَّا يُخْجلُ منه عادةً، يتردَّد إلى أماكن الفساد، ويُشير بجوارحه لدلالات

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٦٥٤٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٤٥٧٠.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٦٥٥٩.

قبيحة، أو يمشي مثلاً مِشْيَةَ المخنَّثين، أو يُقلِّد المغنِّين أو يتمايل أو يجلس كطريقة الفاسقين. . .

وهنا لا بُدَّ من تحذير الآباء والأُمَّهات لنهي أطفالهم عن ذلك لو فعلوا من تلقاء أنفسهم، فضلاً عن تعليمهم وتعويدهم على ذلك كما قد يطلبُ البعض منهم، للأسف «فكثرةُ حياء الرجل، دليل على إيمانه»[1].

(ج) **وفي اللباس،** كأنْ يُظهر من جسمه كثيراً: يفتح أزرار قميصه على صدره، ويلبس «الشورت» وما شابه ذلك، والثياب الضيِّقة التي تُفصِّل ما تحتها، أو الشفَّافة، أو يُظهر زنوده. . .

هذا كلُّه في الرجال، أمّا في النِّساء فمن المفروض أن يكون أمرُهُنَّ واضحاً[2].

«ومَنْ لم يستح من الناس، لم يستح من الله سبحانه»[3].

فهذه الأُمور ونظائرها، ليست من صفات أهل الورع والإيمان. . . ولا يقوم بها مَنْ يحرصُ على تديُّنِهِ والتزامه.

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٤٥٦٨.
(٢) راجع كُتيب «أختاه» للمؤلف.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٤٥٨١.

ويأسفُ المرءُ هذه الأيَّام أن يرى بعض الناس يعتبرون قِلَّة الحياء فضيلةً وتحدِّياً لا يخجلون منه!!!

ويُسمُّون ذلك: ثقةً بالنَّفس أو قوَّة شخصية!

بينما «الحياء مفتاحُ كلِّ خير»[1].

ولا بُدَّ من كلمة أخيرة حفاظاً على الإيمان من الوهن:

إنَّ «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدُهما، تبعه صاحبُهُ»[2].

٦ ـ خطابُ ربِّ العالمين بخفَّة:

كأنْ يُخاطب أو يتكلَّم عن الله جلَّ ثناؤه كمَنْ يُخاطبُ زميلاً له أو صديقاً أو شريكاً دون تعظيمٍ أو إجلال.

وهذا تجرُّؤٌ في غير محلِّه، وإقدام مُستنكر... بل هو وقاحة، ومثاله:

أ ـ أن يُدافع عن موقفه، فيدَّعي رفْعَ الكِلْفة مع خالقه جلَّ وعلا!

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٤٥٤٦.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٤٥٦٥.

ب ـ كأنْ يُطَمْئن مُحدِّثَهُ، وأنْ لا عواقب لفعله، فيقول: اتركْ الله عليَّ!

نعوذ بالله عزَّ وجلَّ.

ج ـ كأنْ يستنكر الرِّزق لغيره، فيقول والعياذ بالله: الله يبعث الحلاوي لِمَنْ ليس له أسنان!

د ـ أن يُبرِّر فِعْله، فيقول حاشا الله: الله يفعل ما أُريد!

هـ ـ أن يُشير إلى الاستخارة، والتي هي رحمةٌ من ربِّ العالمين علينا.. فيقول: أجريت اتِّصالاً «تلفونياً» مع الله!

نعوذ بالله تعالى.

ومثل هذه الأُمور استهان بها الناس، بينما أثرها على النَّفس والقلب والعبادة... والإيمان كبير... «ولا يستكمل عبدٌ الإيمان... حتى يخافَ الله في مزاحه وجدِّه»[1].

استخفَّ بها الناس لأنَّهم اعتادوا عليها وأَلِفوها ومارسوها... ويسمعونها كلَّ يوم!

والعجبُ كلُّ العجب، كيف لا يتجرَّؤون على مخاطبة رؤسائهم وزعمائهم بمثل هذه الكلمات، إمَّا خجلاً

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٢٧.

أو خوفاً أو حياءً. . . ويَسْتَهْوِنون ذلك مع ربّ الأرباب وملك الملوك خالقِ الأوَّلين والآخرين سبحانه وتعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

كيف يكون إيمانُ مَنْ يخشىٰ الزعماء ولا يخشىٰ الله تعالىٰ؟! ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[2]!

كيف يكون ذلك؟! وقرآنُ الله تعالىٰ تخشع له الجمادات. . . فكيف القلوب؟

فـ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[3].

ومَنْ هو هذا «المؤمن» الذي لا يُمجِّد خالقه، فيُقرنُ اسمه بـ«عزَّ وجلَّ» أو «سبحانه وتعالىٰ»؟

والأحرى أنْ لا تذكرَ اسم الله عزَّ وجلَّ، إلَّا وتُقرنه بتعظيم وإجلال، وهو القائل: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة المباركة، الآية ١٦٥.
(٢) سورة الأحزاب المباركة، الآية ٣٧.
(٣) سورة الحشر المباركة، الآية ٢١.
(٤) سورة الروم المباركة، الآية ٤٠.
(٥) سورة النحل المباركة، الآية ٤٨.

أنَسِيَ أنَّ كلَّ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[1].

٧ ـ **الافتخار بالذنب**: حيث يرتكب الذنب ثمَّ يُظهر لامبالاة. ولا يفطن للتوبة، بل لا يخجل بذلك، بل يُبرِّرُ فعله متباهياً... «والتَّبجُّح بالمعاصي أقبح من ركوبها»[2].

فيعتبر المسكين لفرط غفلته أنَّه قام بعمل الأبطال أو بفعل تفتخر به الرِّجال!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[3].

وينسى أنَّه لا يمون على صحته ورزقه وعمره وأولاده...

فهذا قطع أشواطاً في ضعف إيمانه.

٨ ـ **مخالفةُ الشرع عمداً**: فبعد أن يعرف الحكم يُخالفُهُ دون سبب أو شبهة... فقط معاندةً واستخفافاً، كما لو حلق لحيته أو لبس ذهباً أو استمع إلى الغناء.

فهذا لا يُقيم وزناً لشرعٍ، فلا يُقيم الله له يوم القيامة وزناً.

---

(١) سورة مريم المباركة، الآية ٩٣.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٦٦٢١.

(٣) سورة البقرة المباركة، الآية ٢٠٦.

وكيف يقوى إيمانُ هذا الرجل، بل كيف يبقى إيمانه «ومَنْ أكل لُقْمةً من حرام لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة[1]. . . وإذا أصاب مالاً من حرام لم يُقبل منه حجٌّ ولا عُمرةٌ. .»[2].

«ومَنْ أفطر يوماً من شهر رمضان، خرج الإيمان منه»[3].

٩ ـ تسويف التوبة: أي تأخيرها، مع العلم أنَّ الواجب يقضي بفورية الندم، والعزم على عدم العود إليه أبداً، والاستغفار الحقيقي بشروطه.

والتوبة لا تُؤخَّر إطلاقاً، وهذا من علامات صدقها، وإنَّما تكون للذين ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾[4].

ولا تكون للذين يُؤخِّرون ويُسوِّفون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾[5].

١٠ ـ الكِبْر: فالمتكبِّر يتلبَّس بصفة من صفات الله عزَّ

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٣٦٦٠.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٣٦٦٦.
(٣) فضائل الأشهر الثلاثة، الحديث ٧٤.
(٤) سورة النِّساء المباركة، الآية ١٧.
(٥) سورة النِّساء المباركة، الآية ١٨.

وجلَّ، الذي يقول كما في النص الشريف: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمَنْ نازعني واحداً منهما ألقيتُه في جهنَّم ولا أُبالي»[1].

مع العلم أنَّه «لا يدخل النَّار مَنْ كان في قلبه مثقالُ حبَّة من إيمان»[2].

فكيف لا يكون التكبُّرُ سبباً لضعف الإيمان، بل لذهابه؟!

سبحانه وتعالىٰ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3].

١١ ـ ادِّعاءُ الصفات الإلٰهيَّة: تعالىٰ الله عمَّا يقول المغرورون علوّاً كبيراً، حيث يدَّعي الواحد منهم ما لا يكون إلَّا لله عزَّ وجلَّ.

كأنْ يدَّعي أنَّه هو الرزاق لخدَمِهِ وحشمه ومُوظفيه ومَنْ تحت سلطانه!

وأنَّه يُعطي ويمنع، ويجلبُ ويدفع... بينما حقيقةُ واقعه أنَّه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾[4].

---

(١) المحجة البيضاء، ج٦، ص٢١٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢١٢.
(٣) سورة النحل المباركة، الآية ٢٣.
(٤) سورة الحجّ المباركة، الآية ٧٣.

وإذا كان «سُكْر الغفلة والغرور أبعدُ إفاقة من سُكْر الخمور»[1].

فماذا يُمكن أن يكون نوعُ الإيمان عند هذا الصنف من البشر؟!

«فالحذر الحذر، أيُّها المغرور، فوالله لقد ستر حتَّى كأنَّه قد غفر»[2].

١٢ ـ إهانة المؤمنين وإيذاؤهم: ويكفي في هذا ما ورد في أنَّ مَنْ أهان مؤمناً أو اتَّهمه «انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[3].

«ومَنْ أعان على المؤمن بشطر كلمة لقي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مكتوب بين يديه: آيس من رحمتي»[4].

وحتَّى النظرة إلى المؤمن بقصد الإخافة أو الأذيَّة أو الترويع لا تجوز، وإنْ استهان ذلك الناس لكثرته وإلفته... فكيف بما هو أعظم من النظرة؟!

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٤٥٣١.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٤٥٥٥.
(٣) وسائل الشيعة، ج٨، ص٦١٣.
(٤) المصدر السابق، ص٦١٦.

وفي الخبر عن سيِّد البشر ﷺ: «مَنْ نظر إلى مؤمن نظرةً ليُخيفَه بها، أخافَهُ الله عزَّ وجلَّ يوم لاظلَّ إلَّا ظلُّه»[1].

١٣ ـ الحسد: وخطره على أصل الإيمان كبير... فضلاً عن ألمه وعذابه وهمّه وغمّه وحسرته وأنَّه يورث الأمراض والعِلل.

فأمَّا خطره على الإيمان «فإنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النَّار الحطب»[2]. وهو دائر الأمم من قبل، وهو بيننا كثير «وليس بحالق الشَّعر لكنّه حالق الدين»[3]

ويكفي للاعتبار ما ورد عن صادق آل محمَّد ﷺ: «أنَّ الكفر أصلُه الحسد»[4].

١٤ ـ كثرة الغضب: بسبب وبدون سبب، اتكالاً على حاجة الناس إليه وخوفهم منه، ولسوء خُلُقِه واتّباعه هواه، وانقياده لشيطانه... لأنَّه ما من إنسان يغضب إلَّا سيطر عليه جنودُ إبليس، يلعبون به، كما يلعب الأطفال بالكرة.

ألا تراه يخرج عن عقله، ويتصرَّف بما لو عُرض عليه في فترة هدوئه، لاستنكره؟!

---

(١) المصدر السابق، ص٦١٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج٢، الحديث ٣٩٣٨.

(٣) المصدر نفسه، الحديث ٣٩٤٠.

(٤) المصدر نفسه، الحديث ٣٩٤٣.

ألا تراه يسبُّ ويشتم ويُزمجر ويُحطِّم... وقد يُهين المقدَّسات، ويَلجُ المحرَّمات؟!

ألا تراه يُمزِّق ثيابه، ويضرب نفسه... وقد يحرق أو يجرح أوْ يقتل؟

ففي هذه الحال، وخاصة مع تكرارها، أين يُصبح الإيمان؟ وأين هذه التصرُّفات من العبادات؟ وأين سيماء المؤمنين وأخلاق الصالحين؟

١٥ ـ تحوير الأحكام الشرعية: وتوجيهها بحسب رغباته و«راحته»، فيُبدِّل ويُغيِّر ويُفسِّر، ويشرح ما يريد، ويُخفي ما لا يريد، ويلفُّ ويدور... ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[1].

فهذا يجوز للضرورة، وهذا غير مقصود، وذاك لم يُفهم منه ذلك، والأخير ليس محرَّماً!...

ولِه في ترويج أفكاره فنون وأساليب!

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

أولئك «الضَّالون المضلُّون... وصفُهم دواء،

---

(١) سورة النحل المباركة، الآية ١١٦.

وقولهم شِفاء، وفِعلُهُم الداءُ العَياء... قد أعدُّوا لكلِّ حقٍّ باطلاً... ويصِفون فيموِّهون، قد هوَّنوا الطريق!»[1].

أولئك الذين ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[2].

وهذا النوع من البشر، يُخضِعُ الشَّرْع لرغباته وحاجاته، ولا يخضع هو للشرع والحلال والحرام!

فيأخذ بالأسهل من الدِّين بروح انتقائية أهوائية... ثم نسأل عن الإيمان؟!

والنصيحة هنا لِمَنْ يُريد الحفاظ على الإيمان ولا ينصاع لِما اعتاد عليه الناس «أنَّ ما أحدث النَّاسُ لا يُحلُّ لكم شيئاً ممَّا حُرِّم عليكم، ولكنَّ الحلالَ ما أحلَّ الله، والحرام ما حرَّم الله».

١٦ ـ **الإكثار من الدُّنيا**: ولو كان مُحلَّلاً[3]، فهذا يضرُّ، لأنَّ همَّه واهتمامه عندئذٍ يتحوَّل عن أُمور الآخرة وما هو خيرٌ وأبقى... إلى حبِّ الزينة والتعلُّق بالمظاهر والثياب والأثاث وفخامة المنزل... ولا يكون تحصيل ذلك إلَّا بالإسراف كما هو الغالب.

---

(١) راجع نهج البلاغة، الخطبة ١٩٤، السطر ٥.

(٢) سورة مريم المباركة، الآية ٥٩.

(٣) راجع «آداب السلوك للمؤلِّف» الصفحة ١٨٥ والصفحة ٢٢٠.

ويتعلَّق قلبه بالدُّنيا، وتصعُبُ عليه مغادرتها... بل يكره الآخرة ولقاء ربِّه... وقد يزيدُ همُّه، ويصرف جُهْدَه ووقْتَه للحفاظ على ما هو فيه... وبعض الدُّنيا يجرُّ إلى بعض، وكلَّما ازداد أخذاً ازداد تعلُّقاً وطمعاً.

وينسى أنَّه لا مناص إمَّا هو مفارقه، وإمَّا ذاك تاركه.

وهنا لا بُدَّ أن نتذكَّر ونتّعِظ بقارون الذي ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[1].

ولم يستمع إلى نصيحة قومه، بل فتن بعضهم بما عنده، وكان عاقبةُ أمره ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

والمعروف بين علماء الأخلاق أنَّ الإكثار من الدُّنيا، ولو من حلالها، يُقسِّي القلب، إضافة إلى أضرار أُخرى، لا مجال للخوض بها الآن... ومثال ذلك، الإكثار من الطعام، الحلال طبعاً... حيث ورد عن رسول الله ﷺ:

«لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنَّ القلب يموت كالزَّرع إذا كثُر عليه الماء»[3].

---

(١) راجع الآيات المباركة في آخر سورة القصص.
(٢) راجع الآيات المباركة من آخر سورة القصص.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٥٨٩.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «ليس شيءٌ أضرَّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مُورِّثة شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة»[1].

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام قال:

«يا بني إسرائيل، لا تُكثروا الأكل، فإنَّه من أكثر الأكل، أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلَّ الصلاة، ومنْ أقلَّ الصلاة، كُتب من الغافلين»[2].

وهذا النوع من البشر يُخشىٰ عليه من سوء الخاتمة، نعوذ بالله تعالىٰ.

١٧ ـ **الطمع**: فمن كان عنده هذه الصفة، أصبحت غايتُه الوصول إلى مطموعه بأيِّ سبيل، بما يجوز أو لا يجوز... بعيداً عن مقاييس الإيمان، ورغبة لِما في أيدي الآخرين.

فيسلك سبيلَ التصنُّع والرياء والمداهنة والتزلُّف والتودُّد والتحبُّب... وكلِّ سبيل، للوصول إلى مبتغاه، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يُغضبَ مَنْ في يده المطلوب...

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٥٨٨.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٥٩٠.

وبكلمة: «يُصبح مطموعُهُ معبوده، ولذا قيل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجتمع الطَّمع والورع»[1].

فأين الإيمان من هؤلاء؟

وعندما سُئل الإمام الصَّادق عليه السلام عن الذي يُثبت الإيمان، قال: «الذي يُثبته فيه الورع، والذي يُخرجه منه الطمع»[2].

ويبدو أن تأثير الطمع على الإيمان خطير جداً ولعلّ ذلك سببه ذلُّ الطامع ورِقَّهُ ودناءتُهُ... من هنا ورد في النص الشريف «قليل الطمع يُفْسدُ كثير الورع»[3].

١٨ ـ **تقليدُ الكفَّار**: من أهل الكتاب وغيرهم، في عاداتهم وتصرُّفاتهم وأعيادهم ولهجة كلامهم التي يُعرفون بها، تعظيماً لهم وانسحاقاً أمامهم... هذا مع العلم أنَّ الله تعالىٰ قال عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[4].

فترى البعض يحتفل بأعيادهم المبتدعة، التي طرأت على مجتمعنا في العقود الأخيرة، كالذي يُسمَّىٰ بعيد

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٩٣٣.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٥٩.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٩٣٠.

(٤) سورة آل عمران المباركة، الآية ١١٠.

الميلاد أو رأس السنة وعيد الحبّ والعشّاق وعيد الموسيقى وعيد الخمر...

وسبحان الله القائل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾[1].

فمن تشبَّه بهم، أصبح عدواً لله عزَّ وجلَّ، كما هم أعداء الله تعالىٰ.

وروى الصدوق عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء، قُل للمؤمنين: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»[2].

وقال المحدِّث الكبير مُحيي سُنن محمَّد وآله عليهم السلام الشيخ عبَّاس القمّي[3] رحمة الله عليه:

«يُستفاد من آيات وأحاديث كثيرة، أنَّ المسلم عليه أن يجتنب عن مودَّة الكفَّار، والتحابب والميل إليهم، والتشبُّه بهم، وسلوك طريقهم».

---

(١) سورة البقرة المباركة، الآية ١٠٩.

(٢) مفاتيح الجنان، الصفحة ٨٣٦.

(٣) صاحب أهم كتاب للأدعية «مفاتيح الجنان» الذي ينبغي أن يوجد في كلّ بيت مسلم... وقيل: إنَّه أوسع الكتب انتشاراً بعد المصحف الشريف.

والله سبحانه حدَّثنا عن أُسوتنا إبراهيم عليه السلام والذين معه، حيث قالوا لقومهم:

﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾(١).

فهل يبقى على الإيمان مَنْ انبهر بهم، وانمحق أمامهم، واتَّبعهم... ولم يُبال بقوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾(٢).

فكيف يكون من أهل الإيمان مَنْ تَمَظْهَرَ بمظاهر الكفَّار، وسعى لتقليدهم(٣)؟!

١٩ ـ الهجران التام لسُنَّة رسول الله ﷺ: لأنَّ آداب النَّبي وسُنَّته كانت على المؤمنين أفعالاً مُتَّبعة، ومَنْ أولى من المؤمنين بها؟ ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٤).

ولأنَّ كلّ مقدورٍ لنا من أفعال النَّبي ﷺ مع عدم

---

(١) سورة الممتحنة المباركة، الآية ٤.
(٢) سورة المائدة المباركة، الآية ٥١.
(٣) راجع «آداب السلوك» للمؤلِّف، الصفحتان ٤١٦ ـ ٤١٧.
(٤) سورة آل عمران المباركة، الآية ٦٨.

المانع، ينبغي أن لا يترك، حُبّاً وعِشقاً وتعلُّقاً بأخلاقه وأعماله صلوات الله عليه وآله[1].

والله جلَّ جلاله أمرنا بذلك، فلقد كان لنا ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

ولأنَّ المؤمن يُحبُّ كلّ ما يُذكِّره برسوله ﷺ، الَّذي حبُّه فوق كل حبيب... وإلَّا يكون هناك خدشٌ في الإيمان، لا بُدَّ له من العمل بقوله: «ومَنْ أحيا سُنَّتي فقد أحياني، ومَنْ أحياني كان معي في الجنَّة»[3].

واستغرب الإمام الباقر عليه السلام مِمَّن يقول بحبّ رسول الله ﷺ «ثمَّ لا يتَّبع سيرته ولا يعمل بسُنَّته»[4].

فمن علامات الإيمان، حبُّ رسول الله ﷺ وأعمالِهِ وأفعالِهِ وأقواله وسُننهِ وآدابه وأخلاقه وسلوكهِ «فلا يُؤمنُ أحدُكُم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[5].

---

(١) راجع «أخلاق النَّبي» للمؤلِّف.
(٢) سورة الأحزاب المباركة، الآية ٢١.
(٣) سُنن النَّبي ﷺ، ص٧٨.
(٤) الكافي الشريف، ج٢، ص٧٤.
(٥) ميزان الحكمة، الحديث ٣١٩٧.

ومن علامات ضعف الإيمان مخالفةُ ذلك وإهمالُ السُّنن إلى حدِّ الهجران التام.

٢٠ ـ الافتراء على أهل الإيمان: الذين يُفترض أنَّهم أهلُهُ، وهم منه، وهو منهم... فيكون افتراؤه علامةً على طعنهم وتركهم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1].

نعوذ بالله من ترك أهل الإيمان.

ويكون الافتراء إمَّا باختراع القصص أو ظنّ السوء أو المبالغة أو إثارة التساؤلات أو تأكيد الشائعات.. هذا مع العلم أنَّ «المؤمن أعظم حرمةً من الكعبة»[2].

ومن أسباب ضعف الإيمان، نقلُ الافتراء، ونشرُهُ، وتعميمُهُ وتأكيدهُ... ولهؤلاء، قولُ الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[3].

فالافتراء وفروعهُ خطرٌ على الإيمان، وهذا الشيء يجب أن يُعلم ليُجْتنب... قال مولانا الصَّادق عليه السلام: «أدنى

---

(١) سورة النحل المباركة، الآية ١٠٥.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٩٥.

(٣) سورة النُّور المباركة، الآية ١٩.

ما يُخْرج الإنسان من الإيمان، أن يُواخي الرجل على دينه، فيحصي عليه عثراتِهِ وزلّاتِهِ ليُعنِّفه بها يوماً ما»[1].

وكيف يكون من أهل الإيمان مَنْ قال الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

٢١ ـ الاستماع إلى الغناء والموسيقى: وهذا من الأُمور التي تُؤثِّر على جوهر الإيمان في نفس اليوم، بل في نفس الساعة..

ويظهر ذلك في صلاته، كما في رَهْبته وروحيته، كما في غفلته وقساوة قلبه... كما ورد عن رسول الله ﷺ[3].

وذكر المحدِّثُ الكبير العلّامة المجلسي: «أنَّه لا خلاف في حرمة الغناء عند علماء الشيعة، ونقل الشيخ الطوسي والعلّامة وابن إدريس رحمهم الله تعالى الإجماع على حرمته، وهذا دأب علماء الشيعة عامَّة»[4] إنَّما وقع الخلاف فقط بين علماء العامَّة، وإن قال أكثرهم بحرمته أيضاً.

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٨٠.

(٢) سورة الأحزاب المباركة، الآية ٥٨.

(٣) راجع ميزان الحكمة، الحديث ١٥٠٨٩.

(٤) عين الحياة، ج١، ص٣٧٩.

وقد ورد في الأحاديث أنَّ الكبيرة، ما أوعدَ اللَّهُ عليها النَّار، والغناء أوعد عليه النار، فيكون من الكبائر، قال الله ربُّنا جلَّ جلالُهُ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[1].

وعن مولانا الصَّادق عليه السلام بسندٍ صحيح:

«بيت الغناء لا تُؤمنُ فيه الفجيعة، ولا تُجابُ فيه الدعوة، ولا يدخُلُهُ المَلَك»[2].

وعندما سُئل الإمامُ عليه السلام عمَّن يَنْسُبُ إليه ترخيصَهُ الغناء، قال:

«كذب الزنديق، ما هكذا قلتُ له، سألني عن الغناء فقلتُ له: إنَّ رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الغناء، فقال: يا فلان، إذا مَيَّزَ الله بين الحقِّ والباطل، فأنَّىٰ يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل، فقال: قد حكمتَ»[3].

وفي قصَّةٍ للعبرة والذكرىٰ أنَّ رجلاً كان يستمعُ للغناء وضربِ العودِ عند جيرانه، فلمَّا نهاه الإمامُ الصَّادقُ عليه السلام عن ذلك وَعَدَهُ بعدم العودة، واستغفر الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) سورة لقمان المباركة، الآية ٦.

(٢) الكافي الشريف، ج٦، ص٤٣٣، ح١٥.

(٣) المصدر نفسه، ح٢٥.

فقال له الإمامُ الصَّادق عليه السلام:

«قُمْ فاغتسِلْ وسَلْ ما بدا لك، فإنَّك كنتَ مقيماً على أمرٍ عظيم، ما كان أسوأ حالِكَ لو مُتَّ على ذلك، احمدْ الله وسَلْهُ التوبةَ من كلِّ ما يكره، فإنَّه لا يكره إلَّا كلَّ قبيح، والقبيح دَعْهُ لأهله، فإنَّ لكلٍّ أهلاً»[١].

١ ـ فكيف يُصانُ إيمانُ مَنْ يُنْبِتُ النِّفاق في قلبه، حيث ورد عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله: «إيَّاكم واستماعَ المعازِف والغناء، فإنَّهما يُنْبتان النِّفاق في القلب، كما يُنبت الماء البقل»[٢]؟!

٢ ـ وكيف يكون من أهل الإيمان مَنْ وُعد بالنَّار، والعياذ بالله؟! وأشار الإمام الصَّادق عليه السلام إلى أنَّ الغناء أوْعَدَ الله عزَّ وجلَّ عليه بالنار، وهو قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٣].

٣ ـ خطرُ الغناء والموسيقى، ليس فقط على الإيمان، بل على الرِّزق والعبادة أيضاً..

---

(١) المصدر نفسه، ح١٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٥٠٧٧.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٥٠٨٠.

٤ ـ وكيف يُحافظُ على إيمانه مَنْ حرص على إحياء الجاهلية، وخالفَ المسيرة النَّبويَّة؟ حيث نُقل عن الحبيب ﷺ قوله:

«إنَّ الله بعثني رحمةً للعالمين، ولأُمْحِق المعازفَ والمزامير، وأُمور الجاهلية»[١].

(لاحظ لفظ «أُمْحق»، والمحق هو الاستئصال).

٥ ـ نقل عن أهل الخبرة في تهذيب النفس:

«إنَّ أكثر ما يُسبِّب على فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء»[٢].

ولا جهاد أكبر، ولا إيمان، من دون عزم وإرادة، كما هو معروف في علم الأخلاق.

وكلُّ هذا نتيجة الغناء ولوازمه.

وصدق الصادق عليه السلام في قوله: «الغناء يُورث النِّفاق»[٣].

فالغناء والموسيقى خطران كبيران على الإيمان...

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٥٠٧٦.
(٢) راجع «الأربعون حديثاً» الصفحة ٢٥.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٥٠٨٦.

وإن استحسن النَّاسُ ذلك، أو لم يجدوا فيه بأساً لألفتهم أو لغلبة العادة أو لتهاونهم فيه![1].

٢٢ ـ اتِّخاذ الكافرين أولياء: وهذه الحال تُشير إلى ضعف شديد في الإيمان، لو استمر لقتله... ولو احتمى صاحب هذه الحال ببعض المظاهر العبادية!

فالمؤمن في الحقيقة وليُّه الله فاطرُ السَّمٰوات والأرض ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾.

فكيف يتَّخذ المؤمنُ الكافرين أولياء؟!

قال الله سبحانه مُحذِّراً عباده ومنذراً الناس، رحمةً بهم وشفقة عليهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وجعل الذين يُخالفون هذا الأمر منافقين.

وقال جلَّ ثناؤه:

---

(١) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم»، الصفحة ١٣٧. وكتاب «أخي الحبيب»، الصفحة ٦٥.

(٢) سورة البقرة المباركة، الآية ٢٥٧.

(٣) سورة النِّساء المباركة، الآية ١٤٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[1].

وجعل من يتولَّهم يخرج عن الإيمان ليُصبح منهم، ووصفهم بأنَّ في قلوبهم مرضاً.

وقال تعالىٰ مُلْكُهُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾[2].

كيف يكونوا لنا أولياء، وقد اتَّخذوا صلاتنا هُزُواً ولعباً، وينقمون منَّا أنْ آمنا بالله[3]؟!.

٢٣ ـ الأخذ بالفتاوى «السَّهْلة»: كالأخذ ببعض الشرع لأنَّه سهلٌ، وتركِ البعض الآخر لأنَّه صعب!

والالتزامُ ببعض الفتاوى لأنَّها «معقولة ومناسبة»، وإهمال البعض الآخر لأنَّها «قاسية»!

وهذه النوعيةُ من الناس «يتبخَّرُ» إيمانها بسرعة... ويكفي أنَّها تتشبَّه باليهود، نعوذ بالله، الذين وصفهم الله سبحانه أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض[4].

---

(١) سورة المائدة المباركة، الآية ٥١.

(٢) سورة المائدة المباركة، الآية ٥٧.

(٣) انظر سورة المائدة المباركة، الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.

(٤) راجع سورة البقرة المباركة، الآية ٨٥.

وورد في النصِّ عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«مَنْ أطاع هواه، باع آخرتهُ بدُنياه»[1].

وبذلك يكون تخلّىٰ عن الإيمان، واستبدله بالهوىٰ إلٰهاً يُعبدُ ويُطاع، حيث لا يُعبدُ ولا يُطال إلّا الله تبارك اسمُه العظيم.

وكما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تحت ظلِّ السَّماء من إلٰه يُعبدُ من دون الله، أعظم عند الله من هوىٰ مُتَّبع»[2].

٢٤ ـ الفعلُ بغير القول: كأن يقول شيئاً أو يدعو إليه أو يتظاهر به... ثمَّ يُخالفهُ في الفعل...

وهذا من علامات النِّفاق، والعياذ بالله، الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[3].

وخاطب الله سبحانه رسولهُ صلى الله عليه وآله عن الذين يُسارعون في الكفر، ومن صفاتهم:

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢١١٢٣.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢١١٠٠.

(٣) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٦٧.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[1].

ولو لم يقلْ الله تعالى إلَّا ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]، لكفى ذلك في العبرة والخجل... والإنابة إليه.

ومِن آثار هذه الآفة، أن لا يُستجاب الدُّعاء... فالقول كثير، والفعل غائب:

قيل لأحدهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؟ قال: لأنَّ قلوبكم ميتة، قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال.

١ ـ عرفتم حقَّ الله فلم تقوموا بحقِّه.

٢ ـ وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده.

٣ ـ وقُلتم: نُحبُّ رسول الله ﷺ وتركتم سُنَّته.

٤ ـ وقُلتم: نخشى الموت، ولم تستعدوا له.

٥ ـ وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[3] فواطأتموه (وافقتموه) على المعاصي.

---

(١) سورة المائدة المباركة، الآية ٤١.
(٢) سورة الصف المباركة، الآية ٣.
(٣) سورة فاطر المباركة، الآية ٦.

٦ ـ وقلتم: نخاف النار، وأرهقتم أبدانكم فيها.

٧ ـ وقلتم: نُحبُّ الجنَّة، ولم تعملوا لها.

٨ ـ وإذا قُمتم من فُرشكم رميتم بعيوبكم وراء ظهوركم، وقدَّمتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربَّكم.

فيكف يُستجاب لكم؟[1].

٢٥ ـ الاختراع في الدِّين (البدعة): وهذه لا تُضْعفُ الإيمان فقط، بل تذهب به من أساسه، لكن إدراجها هنا للتحذير منها فقط.

والمقصود بالبدعة:

أ ـ تحليلُ ما حرَّمه الله تعالى.

ب ـ فرضُ ما لم يفرضه الله عزَّ وجلَّ.

ج ـ جعلُ شيءٍ من السُّنَّة وهو ليس كذلك، أي تَسْنينُ ما لم يسنُّه الله سبحانه.

وفي تعريف السُّنَّة والبِدعة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «السُّنَّة ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله والبِدعة ما أُحدث من بعده»[2].

---

(١) المحجة البيضاء، ج٥، ص٦٩.

(٢) معاني الأخبار، ص١٥٤، ح٣.

فنحن نعلم أنَّ الصلاة خيرُ موضوع، ومن أفضل العبادات، وأنَّها عمودُ الدِّين... وهي مُسْتحبة في كل وقت، ويُؤجر عليها مَنْ أتاها.

لكن:

لو صلَّى رجلٌ، في وقت معيَّن لأنَّ الله طلب منه أن يُصلِّي في هذا الوقت بالذات... وبهذه الكيفية، لكان بدعة وحراماً.

أو صلَّىٰ رجلٌ خمسَ ركعات مثلاً، في شهر كذا، في ليلة كذا «امتثالاً لأمر الله»... ولم يرِدْ ذلك في الشريعة، لكان بدعة ومنكراً.

أو صلَّى سبع ركعات متتاليات بتسليمة واحدة... ولم يردْ ذلك عن النَّبي ﷺ، فهو بدعة محرَّمة.

وإليك مثال آخر عن غير الصلاة:

كلمة «لا إلٰه إلَّا الله» من أشرف الأذكار وأسناها، فلو قرَّر شخصٌ أن يقرأها في عددٍ معيَّن، ووقت مُعيَّن لأنَّها «مستحبَّة»... لكان ذلك بدعة.

وهكذا كلُّ فعلٍ أو قولٍ وإن ورد فضلُه في الشريعة، فإنَّ اختراع كيفيةٍ له أو عدد أو كميَّة أو وقتٍ من النهار أو

شهرٍ منْ السنة... ولم يردْ ذلك في شرع الله، لكان بدعة مُحرَّمة.

والبدعةُ في الدِّين من أعظم المعاصي، حيث رُوي عن رسول الله ﷺ:

«إنَّ كلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة إلى النار»(١).

ويجب أن يعلم المؤمن، حرصاً على إيمانه، أنَّ دين الله عزَّ وجلَّ لا يُصاب بالعقول، وأنَّ عقول الناس عاجزةٌ عن إدراك أسرار وخصوصيات الشريعة المقدَّسة، وأنَّ عقول الأذكياء والفطاحل لا تعلم أين تكمن المصالح والمفاسد، ولماذا حُلِّل هذا، ولماذا حُرِّم هذا؟!

رُوي عن مولانا الصَّادق عليه السلام أنَّه قال لأبان بن تغلب:

«إنَّ السُّنَّة لا تُقاس، ألا ترى أنَّ امرأةً تقضي صومها، ولا تقضي صلاتها يا أبان؟! إنَّ السُّنَّة إذا قيست مُحِق الدِّين»(٢).

فالمؤمن الحقُّ يعمل بالشريعة كما جاءت، ولا يخترع عباداتٍ وبدعاً، اغتراراً بعقله الناقص العاجز.

---

(١) الكافي الشريف، ج١، ص٥٦، ح١٢.
(٢) الكافي الشريف، ج١، ح١٥.

خاصَّة أنَّ الشيطان اللعين يكمُنُ للمؤمن ليقول له: لو زِدْتَ على هذه العبادة، أو أنقصت، أو شرَّعت أو اخترعت... لوصلت إلى الله بسرعة!

فعليه أن يعتقد، دفعاً لشيطانه، وجَبْهاً لوسوساته: أنِّي لا أفهم أسرار شرعِ الله، وأين يكمُنُ القرب والبعدُ؟

وعندما سُئل أبو الحسن عن توحيد الله، قال:

«يا يونس، لا تكوننَّ مُبتدعاً، مَنْ نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيِّه ضلَّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»[1].

ولخطورة البدعة على الإيمان، لعن الله عزَّ وجلَّ، ليس فقط مُخترعيها، بل الساكتين عليها، الذين لا يردعون أصحابها، فعن رسول الله ﷺ:

«إذا ظهرت البِدعُ في أُمَّتي، فليُظْهر العالِمُ علمَهُ، فمَنْ لم يفعل، فعليه لعنةُ الله»[2].

وأما مثالُ المغرورين الذين يُشرِّعون «عبادات» بكيفيَّات وطرقٍ «مُستحسنة»، فهو إبليس الذي أمره الله جلَّ جلالهُ بالسجود لآدم، فقال:

---

(١) الكافي الشريف، ج١، ص٥٦، ح١٠.

(٢) الكافي الشريف، ج١، ص٥٤، ح٢.

«يا ربِّ، وعزَّتك إن أعفيتني من السجود لآدم، لأعبدنَّك عبادةً، ما عبدك أحدٌ قط مثلها، فقال الله جلَّ جلالهُ (له ولأتباعه وأمثاله):

إنِّي أُحبُّ أنْ أُطاع من حيث أُريد»[1].

والغريب أنَّ بعض المبتدعين، نعوذ بالله منهم، يظنُّ أنَّه كلَّما صعَّب الأعمال، وكان فيها تعبٌ وإرهاق. . كلَّما كانت أفضل!!!

وكأنَّ الدِّين هو المشقَّة والعُسْر والتعجيز!

فيا أيُّها الحريصُ على إيمانه:

لا يخفى عليك أنَّ الأعمال مهما كانت شاقة وصعبة، لا تكون مُنْجية، ما لم تُوافق السُّنَّة.

وإنَّ البدعة مهما كان مظهرها وأشكالُها، مُحبَّبة كانت أم مُزينة، توجب الضلال، وكلُّ ضلالٍ إلى النار.

وفي النصِّ المبارك عن رسول الله ﷺ:

«عليكم بسُنَّتي، فعملُ قليلٍ في سُنَّة، خيرٌ من عملِ كثيرٍ في بدعة»[2].

---

(١) عين الحياة، ص٣٤٠.

(٢) أمالي الطوسي، ص٥٢٢.

فمن أجل المحافظة على الإيمان الحقيقي الذي يُحبُّه الله ورسوله، لا بُدَّ من اتّباع هذه القاعدة:

إنَّ الميزان في حسن الأشياء وقبحها، وفي أنَّها سُنَّة تُتَّبع أو بِدعةٌ تُجْتنب، كلام الله ورسوله والأئمَّة صلوات الله عليهم، وإنَّ النجاة في اتِّباع طريقهم.

فلا تأخذ بشيء ولا تعمل به، إلَّا إذا نُقل عنهم.

٢٦ ـ تغليب الحادثة الشخصية على رأي الإسلام:

وهذا كثير، وقد مرَّ أشباهه، لكنْ لأهميَّته، نضرب مثلاً عليه:

١ ـ لو أقرض مؤمنٌ رجلاً، ولم يُرْجع الرجلُ المال، فيقول المؤمن: أصلُ تشريع القرض خطأ!

٢ ـ لو اختلفت امرأةٌ مع زوجها، وعانت منه الكثير، فتقول: لا يوجد رجلٌ مخلصٌ أبداً، كلهم سيِّئون؟

٣ ـ لو وقع سوءُ تفاهم مع رجلٍ مؤمن أو امرأة مُحجَّبة... فيقول: لا يوجد مؤمن!

أو: كلّ المحجَّبات غير صالحات، وهُنَّ يتستَّرن بالحجاب!

٤ ـ لو حصل خلاف مع عالم من علماء الدِّين. . . لاتَّهمهم جميعاً وشتمهم، والعياذ بالله.

فكلّ هذه الحالات التي تُحكَّم فيها المعاناةُ الشخصية والمشاكلُ وسوءُ التَّفاهم والمصلحة. . . وتُغلَّب على مفاهيم الإسلام وأحكامه الأساسية تُساهم في تضعيف الإيمان.

الفصل الثاني

مظاهر وعلامات ضعف الإيمان

بعد كل هذا تحصَّل معنا بعضُ علاماتِ ومظاهر ضعف الإيمان إضافة إلى أسبابه... وهناك صُور أُخرى لا بُدَّ من ذكرها، ولو على نحو الإجمال، ومنها:

١ ـ عدم الخشوع في الصلاة أو الدُّعاء...

٢ ـ عدم قبول المواعظ وعدم التأثُّر بالمخاوف... قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1].

ويُقابل ذلك اللين والرأفة والرِّقَّة وهي حالات تُؤثِّر في الدعوة إلى الخير وحُسْن الخُلُق وقبول المواعظ...

(١) سورة البقرة المباركة، الآية ٧٤.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ ترك الدُّعاء والمسألة لله تبارك وتعالى، قال سبحانه:

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[(١)].

٤ ـ جمود العين: فالحديث المشهور يقول: «ما جفَّت الدموع إلَّا لقسوة القلوب»[(٢)].

٥ ـ طول الأمل، قال الله تعالى:

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[(٣)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ يأملْ أن يعيش غداً، فإنَّه يأمل أن يعيش أبداً، ومن يأمل أن يعيش أبداً يقسو قلبه»[(٤)].

٦ ـ كثرة الكلام بغير ذكر الله، فيما يلزم وفيما لا يلزم:

---

(١) سورة الأنعام المباركة، الآية ٤٣.

(٢) دار السلام، ج٣، ص١٤٣.

(٣) سورة الحديد المباركة، الآية ١٦.

(٤) دار السلام، ج٣، ص١٤٤.

ورد عن النَّبي ﷺ:

«لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله يُقسِّي القلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القاسي القلب»[1].

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول:

«لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنَّ الذين يُكثرون الكلام قاسية قلوبهم، ولكن لا يعلمون»[2].

٧ ـ كثرة الأكل على بطنة (شبع):

فعن النَّبي ﷺ:

«إنَّ مَنْ قلَّ طعامُه، صحَّ بدنُهُ، وصفا قلبُه، ومَنْ كثُر طعامُه، سقُمَ بدنُه، وقسا قلبُهُ»[3].

٨ ـ مجالسة الفاسقين والعصاة:

ويُخشى من التأثُّر بهم وتقليدهم والشعور بالنَّقص أمامهم... فضلاً عن حرمة مجاملتهم ومفاكهتهم.

٩ ـ تتابع الذُّنوب:

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وما قست القلوب إلّا لكثرة الذُّنوب»[1].

١٠ ـ استماع اللهو:

وقد ورد عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ المؤمن عن جميع ذلك لفي شغل، ما له وللملاهي، فإنَّ الملاهي تُورث قساوة القلب، وتُورث النِّفاق»[2].

١١ ـ ترك ذكر الله:

وهذا بحدِّ ذاته يُقسِّي القلب، ويُبعد عن الإيمان.

١٢ ـ عدم الاهتمام بالمواثيق والعهود:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[3].

١٣ ـ حبُّ كثرة الراحة والنوم:

حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث تُورث القسوة: حبُّ النَّوم، وحبُّ الرَّاحة، وحبُّ الأكل»[4].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) دار السلام، ج٣، ص١٤٦.

(٣) سورة المائدة المباركة، الآية ١٣.

(٤) دار السلام، ج٣، ص١٤٧. انظر «آداب السلوك» للمؤلِّف، الصفحة ١٨٥ والصفحة ٣٦١.

١٤ ـ الغفلة عن الموت:

ورد عن علي عليه السلام: «أكثر الناس أملاً أقلُّهم للموت ذكراً»[١].

---

(١) المصدر نفسه.

الفصل الثالث

علاج ضعف الإيمان

بعد أن رأينا أسباب ومظاهر ضعف الإيمان، وأنَّ في مخالفتها أو تركها صيانةً للإيمان، وهذا أمرٌ واضح...

يأتي الكلام الآن حول بعض الأُمور المساعدة على العلاج، إذا التزم بها المرء.

وبالله المستعان في البدء والختام.

١ ـ **الاعتزاز بالإسلام**: واعتباره أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على عبده، فيفتخر بدينه وشعاراته وشعائره ومقدَّساته وأحكامه، فالله سبحانه ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[١].

ويلزمه لذلك أن يُبْغِضَ الكُفر وأهله وعاداتهم

(١) سورة الحجرات المباركة، الآية ٧.

وشعاراتهم وأفعالهم. . . ويستعيذ بالله تعالى أن يكون منهم أو يتأثَّر بهم، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[1].

فيكره الكفر والارتداد وما يتعلَّق بهما.

وفي النص الشريف عن رسول الله ﷺ:

«ثلاث مَنْ كُنَّ فيه ذاق طعم الإيمان:

١ ـ مَنْ كان لا شيء أحبُّ إليه من الله ورسوله.

٢ ـ ومَنْ كان لأن يُحرق بالنار أحبُّ إليه من أن يرتدَّ عن دينه.

٣ ـ ومَنْ كان يُحبُّ لله، ويبغض لله»[2].

وعنه ﷺ قوله:

«ثلاث مَنْ كُنَّ فيه، وجد بهنَّ حلاوة الإيمان:

١ ـ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما.

٢ ـ وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّهُ إلَّا لله.

٣ ـ وأن يكره أنْ يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار»[3].

---

(١) سورة الحجرات المباركة، الآية ٧.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٦٥.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٦٦.

٢ ـ الاعتقاد بأنَّ كلّ الأُمور بيد الله: فهو سبحانه الذي يُحيي ويُميتُ، ويُعطي ويمنع، ويجلب ويدفع... وما تسقط من ورقة، ولا تهبُّ نسمةٌ، ولا تدبُّ نملةٌ، ولا تندفع موجةٌ، ولا يُرفرف طائرٌ، ولا تنزل قطرة، ولا تسبح سمكةٌ، ولا تتحرَّك غيمةٌ... ولا تُقْبَضُ نفسٌ إلَّا بإذنه، ولا تقع حركة، ولا تحدث سكْنة إلَّا بعلمه ومشيئته.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1].

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[2].

فلا يجوز لأهل الإيمان أن يقولوا قولَ أهل الكُفر في شأن الحياة والموت... ولا أن يعتقدوا معتقداتهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾[3].

لأنَّ ذلك له عواقب وخيمة في الدُّنيا والآخرة:

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

---

(١) سورة الأنعام المباركة، الآية ٥٩.

(٢) سورة فُصلت المباركة، الآية ٤٧.

(٣) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٥٦.

فأقوياء الإيمان، لا ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾[1].

بل يعتقدون أنَّ ﴿ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

وهذا مُغاير لسلوك واعتقاد أهل الكُفر الذين ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

وأهلُ الإيمان الحقيقي الراسخ كالذين قيل لهم: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾[2].

فيؤمنون أنَّ كلّ الأُمور بيد الله عزَّ وجلَّ وتحت عينه.

هكذا حالتُهُ عزَّ وجلَّ مع أحبَّائه:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[3].

وهكذا ظنُّنا به سبحانه وتعالى.

٣ ـ **التحلِّي بمكارم الأخلاق**: التي جاء رسول الله ﷺ ليُتمِّمها، والتي تُميِّز المؤمن عن غيره، وإلَّا تساويا.

ومن هذه المكارم[4]:

(١) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٥٣.
(٣) سورة طٰه المباركة، الآية ٣٩.
(٤) راجع الكافي، الجزء الثاني، الصفحة ٢٢٦ والصفحة ٧٣ وما بعدهما، ففيها كلامٌ عجيب لا بُدَّ منه لكلِّ مؤمن ليتأمَّلَ ويتملَّى.

الصدق، والعفَّة، والورع، والتواضع، وصلاح السريرة، والعدل، والقناعة، والتسليم، والتفويض، والثبات، والأمانة، والحياء، والصبر، وكظم الغيظ، وحسن الظَّنّ.

وفي النص المبارك عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام: «علامات المؤمن خمس...:

الوَرع في الخلوة، والصَّدقة في القلَّة، والصبر عند المصيبة، والحلم عند الغضب، والصِّدق عند الخوف»[1].

وفي الحديث المشهور عن مولانا الباقر عليه السلام قال:

«يا جابر، أيكتفي مَن ينتحل التشيُّع (من يدَّعي التشيُّع)، أن يقول بحبِّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلَّا مَنْ اتَّقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلَّا بالتواضع، والتخشُّع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصَّوم، والصلاة، والبرِّ بالوالدين، والتَّعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفِّ الألسن عن الناس إلَّا من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر:

فقلتُ يابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة.

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٤٧٢.

فقال عليه السلام:

يا جابر، لا تذهبنَّ بها المذاهب، حسبُ الرجل أن يقول: أُحبُّ علياً وأتولَّاه، ثمَّ لا يكون مع ذلك فعَّالاً، فلو قال: إنِّي أُحبُّ رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خيرٌ من علي عليه السلام ثمَّ لا يتَّبع سيرته، ولا يعمل بسُنَّته، ما نفعه حبُّه إيَّاه شيئاً.

فاتَّقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة.

أحبُّ العباد إلى الله عزَّ وجلَّ، أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر، والله ما يُتقرَّب إلى الله تبارك وتعالى إلَّا بالطاعة، وما معنا براءةٌ من النَّار، ولا على الله لأحدٍ من حُجَّة.

من كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ، وما تُنالُ ولايتُنا إلَّا بالعمل والورع»[١].

«لا يجد عبدٌ طعم الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم

---

(١) كتاب الكافي الشريف، الجزء الثاني، الصفحة ٧٤.

يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنَّ الضَّارَّ النافع هو الله عزَّ وجلَّ»[1].

فحقيقة الإيمان هي: «الرِّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويضُ إلى الله تعالى»[2].

٤ ـ الحبُّ في الله، والبغض في الله:

وهذا من العلامات الكبيرة التي يُعرفُ بها أهلُ الإيمان، لتجاوزهم المصلحة والمنفعة والرحم والصِّلة، وليكون الإيمانُ حاكماً في العلاقات، وحاسماً في المعاملات.

رُوي عن الصَّادق عليه السلام:

«لا يبلغُ أحدُكُم حقيقة الإيمان، حتَّى يُحبَّ أبْعَدَ الخلقِ منه في الله، ويُبْغض أقربَ الخلقِ منه في الله»[3].

ويكون ميزانُهُ ومقياسُهُ في كافَّة الأُمور، لدُنياه وآخرته، حُبَّ ما أحبَّ الله، وكُرْهَ ما كره الله عزَّ وجلَّ.

هذا، بعيداً عن أهوائه ورغباته ومصالحه.

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٧٠.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٢٧٧.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٢٨١.

«فلا يكملُ إيمانُ عبدٍ، حتَّىٰ يُحبَّ ما أحبَّهُ الله، ويبْغضَ ما أبغضه الله»[1].

وهكذا يُصبحُ:

عطاؤه ومنعُهُ ورغبتُهُ وعملُهُ وقيامُهُ وسفرُهُ وتجارتُهُ وسَكَنُهُ وسهرُهُ وكلامُهُ وبُغْضُهُ وحبُّهُ وخصامُهُ وتأجيلُهُ وتعجيلُهُ... فيما أراد الله تعالىٰ وأحبَّ.

كما عن حبيبنا رسول الله ﷺ:

«إنَّه مَنْ أحبَّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2].

وعن علي عليه السلام: «أفضل المؤمنين إيماناً، مَنْ كان أخذُهُ لله، وعطاه وسَخَطُهُ ورضاه»[3].

وجاء رجلٌ رسول الله ﷺ يبايعُهُ على الإسلام، فقال ﷺ: أُبايعُكَ على أن تقتل أباك؟ قال الرجل: نعم! فقال له ﷺ: «إنَّا والله لا نأمرُكُم بقتل آبائكم، ولكنْ الآن علمتُ منك حقيقة الإيمان»[4].

---

(١) ميزان الححكمة، الحديث ١٣٣٠.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٣٢.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٤٨٠.
(٤) ميزان الحكمة، الحديث ١٢٧٥.

٥ ـ الموعظة والزهد من الدُّنيا:

فلا يستقيمُ إيمانُ امرىءٍ حتَّى يكون له مَنْ يُذكِّرُهُ من أين جاء، وأين يذهب، وتقلُّب الأحوال والمآل... وإلى أين المصير؟

يتذكَّر ضعفَه وقلَّة حيلتِهِ ومرضَهُ... وما يُصيب مَنْ حولَهُ، وما أصاب السابقين، وإلى أين ارتحلوا، وأين حلُّوا ونزلوا، وماذا بقي من قوَّتهم؟!!

ويتَّعظْ بالجبابرة والفراعنة والطواغيت... ومَنْ ظلموا وقتلوا، ومَنْ أجرموا وفتكوا... وماذا كانت نهايتُهم؟!

فيُحدِّث نفسه:

«أين العمالقة وأبناءُ العمالقة؟! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟! أين أصحابُ مدائنِ الرَّسْ الذين قتلوا النَّبيِّين، وأطفؤوا سُنَنَ المرسلين، وأحيَوْا سُنَنَ الجبَّارين؟!

أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا بالأُلُوف، وعسكروا العساكر، ومدَّنوا المدائن؟!»[1].

ثمَّ يُنْصِتُ لمولاه مولى المتَّقين وهو يقول:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

«واعلموا عبادَ اللّه أنَّكم وما أنتم فيه من هذه الدُّنيا على سبيل مَنْ قدْ مضى قَبْلكُم، مِمَّنْ كان أطولَ منكم أعماراً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً (طول بقار آثارهم).

أصبحت أصواتُهُم هامدةً، ورياحُهُم راكدةً (ساكنة أي انقطعت أعمالهم)، وأجسادُهُم باليةً، وديارُهُم خالية، وآثارُهم عافية (مُنْدرسة).

فاستَبْدلوا بالقُصُور المشيَّدة، والنَّمارِقِ الممهَّدة، الصخور والأحجار المسنَّدة، والقُبور اللاطِئَةَ المُلْحَدَة، التي قد بُني على الخراب فِناؤها (ساحتها)، وشُيِّد بالتراب بناؤها.

فمحلُّها مُقْترب، وساكنُها مُغْترب، بين أهلِ مَحَلَّةٍ موحشين، وأهل فراغٍ مُتشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصُلَ الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، ودُنُوِّ الدار»[1].

ويتأمَّلُ في هذه الدُّنيا وماضيها وقرونِها السالفة، وكيف كان: «حيُّها بعَرَضِ موت، وصحيحُها بعَرَضِ سُقْم، مُلْكُها مسلوب، وعزيزُها مغلوب، وموفورُها منكوب (ما كَثُرَ منها في مَعْرَض النَّكبة والفناء).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٦.

أَلَسْتُم في مساكن مَنْ كان قبلَكُم أَطْوَل أعماراً، وأبقى آثاراً، وأَبْعَد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأَكْثَفَ جنوداً؟!

تعبَّدوا للدُّنيا أيَّ تعبُّدٍ، وآثروها أيَّ إيثار، ثُمَّ ظعنوا عنها (رحلوا عنها)... فهل بَلَغَكُمْ أنَّ الدُّنيا سَخَتْ لهم نَفْساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صُحْبة؟!..

فقد رأيتُم تنكُّرها لِمَنْ دان لها، وآثَرَها وأخْلَدَ إليها، حين ظعنوا عنها لفراق الأبد...

أفهذه تُؤثِرون، أَمْ إليها تطمئنُّون، أم عليها تَحْرِصون؟!

فبِئْسَتِ الدارُ لِمَنْ لم يتَّهِمْها ولَم يكنْ فيها على وجلٍ منها!

فاعلموا، وأنتم تعلمون، بأنَّكم تاركوها وظاعِنون عنها، واتَّعِظوا فيها بالذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ حُمِلوا إلى قبورهم، فلا يُدْعَوْنَ رُكباناً (لأنَّ الراكب يملك التصرُّف وهم لا يملكون ذلك)، وأُنزلوا الأجداث (القبور)، فلا يُدْعَوْن ضيفاناً.

وجُعل لهُمُ من الصفيح أجنانٌ (جمع جَنَنَ وهو

القبر)، ومن التراب أكفان، ومن الرُّفات جيران، فهم جيرةٌ لا يُجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً. . .

جميعٌ وهم آحاد، وجيرةٌ وهم أبعاد، مُتدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون. . .

استَبْدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسَّعة ضيقاً، وبالأهل غُرْبةً، وبالنُّور ظُلْمةً، فجاؤوها كما فارقوها، حُفاةً عراة»[1].

فالتذكرة والاعتبار ضروريان لحفظ الإيمان والتديُّن. . . وهذا كثير في النصوص والمرويَّات، ويبقى للغيور على دينه أن يرجع إليها.

يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن، وكلُّنا أبناؤه:

«أَحْيِ قلبَكَ بالموعظة، وأمِتْه بالزَّهادة، وقوِّه باليقين. ونوِّرْه بالحكمة، وذلِّلْه بذكر الموت، ومَرِّرْه بالفَنَاء (اطلبْ منه الإقرار بالفناء)، وبصِّره فجائعَ الدُّنيا. . .

واعرِضْ عليه أخبار الماضين، وذكِّرْه بما أصاب مَنْ كان قبلك من الأوَّلين، وسرْ في ديارهم وآثارهم، فانظُرْ فيما فعلوا وعمَّا انتقلوا، وأين حلُّوا ونزلوا؟!

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١١.

فإنَّك تَجِدُهُم قد انتقلوا عن الأحبَّة، وحلُّوا ديارَ الغُرْبة، وكأنَّك عن قليل قد صِرْتَ كأحدهم.

فأصلحْ مثواك، ولا تبعْ آخرتَكَ بدُنْياك»[1].

٦ ـ مُجالسةُ أهل الله:

وهم الذين يُذكِّرُك حديثُهُم وفِعْلُهُم وسَمْتُهُم بالله جلَّ ثناؤه.

وهؤلاء، وإن كانوا نادرين، إلَّا أنَّهم مباركون في نفس وجودهم وفي تأثيرهم... تشعر بنفحاتهم لمجرَّد أن تُجالسهم أو تسمعَ منطقهم أو تتحدَّث إليهم[2]...

هؤلاء أهلُ الأُنس للمؤمن في هذه الدُّنيا، لأنَّه يقوى بهم، وبتمثُّل آدابِ وأخلاقِ الأنبياء والأوصياء فيهم، وبحكمِهِم، ونصائحهم، وتنبيهاتهم، وتحذيراتهم... وأسرار تجاربهم.

يقوى بهم المؤمن، وإن نظر إليهم فقط... ولا يعلم إلَّا اللَّهُ تعالىٰ ماذا يختزنون من الجواهر الرَّبانيَّة وراء صمتهم... من هنا كان «النظر إلى وجه العالم عبادة»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الرّسالة ٣١.

(٢) راجع «سبيل الرشاد» للمؤلّف، الصفحتان ١٧ ـ ١٨.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٤٣٦.

فكيف بهم إن نطقوا؟

قال رسول الله ﷺ:

«قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، مَنْ نُجالس؟ قال: مَنْ يُذكِّرُكُمُ اللَّهَ رؤيتُه؟ ويزيدُ في عِلْمِكُم منطقُهُ، ويُرغِّبُكُم في الآخرة عملُهُ»[1].

وعندما سُئل الإمام الصَّادقُ عليه السلام عن النظر إلى وجوه العلماء... قال:

«هو العالِمُ الذي إذا نظرتَ إليه ذكَّرك الآخرة، ومَنْ كان خلاف ذلك، فالنظر إليه فتنة»[2].

وقال الأمير عليه السلام عن أهل الذِّكر الذين تنفع مجالستُهم في حفظ الإيمان وتنقية القلوب:

«... بمنزلة الأدلَّة في الفلوات (الذين يدلُّون على الطريق في الصحراء)، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظُّلمات، وأدلَّة تلك الشُّبهات... ويهتفون بالزَّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين (يَنْهون عن المحارم والمنكرات)، فكأنَّما قطعوا الدُّنْيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك،... حتَّى كأنَّهم يرَوْنَ ما لا يرى

(١) الكافي الشريف، ج١، ص٣٩، ح٣.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٤٣٨.

الناس، ويسمعون ما لا يسمعون،... قد حفَّت بهمُ الملائكةُ، وتنزَّلت عليهم السكينةُ، وفُتحت لهم أبوابُ السَّماءِ»[1].

٧ ـ الاطلاع على سيرة الصالحين:

وذلك للامتثال بهم، وتهذيب النَّفس بتهذيبهم، والتعلُّم من سِيَرِهم، وكيف تعاملوا مع الأشخاص والأحداث والتطورات والمفاجآت والفتن والبلاء والامتحان والتحدي والاستفزاز...

وهذا، من الأُمور الهامَّة المحافِظة والمقوِّية للإيمان:

«وذلك لاستقامتهم على الطريق الحقِّ، وعلمهم بطرق القرب إلى الله، وبالعبادات والمناجاة والطاعات، كسلطان العلماء والمحقِّقين، وبرهان الأصفياء والكاملين الشيخ صفي الدِّين، وسيِّد الأفاضل ابن طاوس، وزبدة المتعبِّدين ابن فهد الحلِّي، والشهيد السعيد الشيخ زين الدِّين (والأمير الزاهد الشيخ ورام، والشيخ حسين النوري، والملكي التبريزي، والقاضي الطباطبائي) رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢.

وغيرهم من الزُّهاد السائرين في طريق الرياضة[1] والعبادة والطاعة، طبقاً لقانون الشرع المقدَّس النَّبوي، وتوجَّهوا إلى العبادة والرياضة، وإلى هداية الخلق وإرشادهم... ولم تُنْقل عنهم بِدْعة...

وأُضيء العالَمُ بنور آثارهم وتصانيفهم[2]، وسيبقى معموراً إلى قيام الساعة ببركاتهم»[3].

وصدق أميرُ المؤمنين عليه السلام في قوله:

«والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة»[4].

٨ ـ الشعور بالتقصير دوماً:

وهذا الشعور، من الأُمور الضروريَّة للمحافظة على الإيمان، والتواضع، والتقرُّب إلى الله جلَّ ثناؤه، والازدياد من العبادات.

والشعور بالتقصير في حقِّ اللَّهِ جلَّ جلاله، والاعترافُ بالعجز... وصيَّةُ الأولياء لأحبَّائهم وشيعتهم.

---

(١) أي ترويض النَّفس على الطاعة ومخالفة الهوىٰ.

(٢) أي كتبهم ومؤلَّفاتهم.

(٣) كتاب «عين الحياة» للمحدِّث الكبير العلَّامة المجلسي، الصفحة ٣٧٩.

(٤) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٤٠٥.

ورد عن مولانا الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنَّه قال لبعض ولده:

«. . . وعليك بالجدِّ، ولا تُخرجِنَّ نفسَكَ من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنَّ الله لا يُعبدُ حقَّ عبادته»[1].

وفي الدُّعاء عن مولانا الباقر عليه السلام لجابر:

«يا جابر، لا أَخْرَجَكَ اللَّهُ من النَّقْص ولا التقصير»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السلام:

يا داود بشِّر المذنبين وأنذرْ الصدِّيقين، قال: كيف أُبشِّر المذنبين، وأُنذر الصدِّيقين؟ قال: يا داود بشِّر المذنبين أنِّي أقبل التَّوْبة، وأعفو عن الذَّنْب، وأنذر الصدِّيقين ألا يُعْجبوا بأعمالهم، فإنَّه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلَّا هلك»[3].

٩ ـ مخالفةُ النَّفْس:

ولا يكون المؤمنُ مؤمناً، ولا يُحافظ على إيمانه. . .

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، الصفحة ٢٩٩.

(٣) المصدر السابق، الصفحة ٣٠١.

إلَّا بمخالفة الهوىٰ، لأنَّ «ضرر النَّفس الأمَّارة للإنسان، أكثر من ضرر الشيطان»[1]، ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[2].

ومن المسلَّمات في علم الأخلاق أنَّ جهاد النَّفس وهو الجهاد الأكبر، أفضل وأعظم وأخطر وأصعب من مجاهدة الأعداء بالسلاح، وذلك لسببٍ بسيط هو:

«إنَّ جهاد الكفَّار، ثمرةٌ من ثمار جهاد النَّفس»[3].

وحقيقةُ جهادِ النَّفس هو:

مخالفةُ النَّفس وهواها، في الأُمور التي تُخالفُ فيها الشرعَ المقدَّس والأحكامَ الإلٰهيَّة... حتى تنقاد لأوامر الله تعالى خوفاً ورهبةً ورغبةً.

قال الله جلَّ وعلا:

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[4].

ومِنْ هدي النُّبوَّة ورد:

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ٤٤٠.

(٢) سورة يوسف المباركة، الآية ٥٣.

(٣) كتاب «عين الحياة» الصفحة ٤٤١.

(٤) سورة النَّازعات المباركة، الآيتان ٤٠ ـ ٤١.

«أفضل الجهاد مَنْ جاهد نفسه التي بين جنبَيْه»[1].

١٠ ـ اتِّقاءُ فِتَنِ آخر الزَّمان:

وقد بدأت بالوقوع، ونراها حولنا.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يأتي على الناس زمانٌ تُنْتهكُ فيه المحارم، ويُعْلنُ فيه الزنى، ويُسْتحل فيه أموالُ اليتامى، ويُؤْكل فيه الربا، ويُطفَّف في المكائيل والموازين، ويُسْتحل الخمرُ بالنبيذ، والرشوةُ بالهدية، والخيانةُ بالأمانة، ويتشبَّهُ الرِّجالُ بالنِّساء، والنِّساءُ بالرِّجال، ويُسْتخفُّ بحدود الصلاة، ويُحجُّ فيه لغير الله، فإذا كان ذلك الزَّمان، انتفخت الأهلَّةُ تارةً، حتى يُرى الهلالُ ليلتين وخَفِيَتْ تارة، حتى يفطر شهر رمضان في أوَّله ويُصامُ للعيد في آخره، فالحذر الحذر حينئذٍ من أَخْذِ الله على غفلة فإنَّ من وراء ذلك موتاً ذريعاً يَخْتطفُ الناس اختطافاً، حتى أنَّ الرجل ليُصْبح سالماً ويُمْسي دفيناً، ويُمْسي حياً ويُصْبحُ ميتاً، فإذا كان ذلك الزَّمان وجب التقدُّمُ في الوصية قبل نزول البلية، ووجب تقديمُ الصلاة في أوَّلِ وقتِها خشيةَ فوتِها في آخر وقتها، فمن بلغ منكم ذلك الزَّمان، فلا يبيتنَّ ليلَهُ إلَّا على طُهْر وإنْ قَدِرَ أن لا

---

(١) أمالي الصَّدوق، الصفحة ٣٧٧، ح٨.

يكون في جميع أحواله إلَّا طاهراً، فَلْيفعَلْ، فإنَّه على وَجَلٍ لا يدري متى يأتيه رسولُ اللَّهِ لِقَبْضِ روحه، وقد حذَّرْتكم وعرَّفْتكم إن عرفتم، ووعظتُكُم إن اتعظتم، فاتقوا الله في سرائركم وعلانيتكم، ولا تموتُنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[1].

---

(١) فضائل الأشهر الثلاثة، الصفحة ٧٠.

الفصل الرابع

حكايات ووَمَضَاتٌ لأهل الإيمان

فهذه حكايات يتعلَّم منها أهلُ الإيمان، ووَمَضاتٌ تُضيءُ ظلماتِ الدُّنيا، تهدي إلى سُبُلِ الله عزَّ وجلَّ.

وجرى التصرُّفُ في صياغتها لتكونَ سَهْلَة التناولِ والاستيعاب.

الحكاية الأُولى:

نقل أهلُ السلوك عن رجلٍ من الصالحين، وقف على المقابر يوماً، ونظر إليها ثم بكى، وقال: هذه قبورُ آبائنا وأُمَّهاتِنا، وأهلِنا وجيرانِنا، شاركوا أهلَ الدُّنيا في عيشهم ولذَّاتهم؛ كيف أصبحوا رهائن القبور والهوام.

والله، إنَّ أسعد مَنْ في هذه الحُفر، مَنْ أَمِنَ عذاب الله تعالىٰ.

ألا أدلُّكُم على زادٍ لا ينقص ولا ينفد:

العمل الصالح وتقوى الله.

وكان يقول:

إنَّ الدُّنيا بقاؤها قليل، وعزيزُها ذليل، وغنيُّها فقير، وحيُّها يموت... فالمغرور مَنْ اغترَّ بها وبإقبالها عليه، مع علمه بسرعة زوالها وإدبارها...

والمغرور مَنْ اغترَّ بصحته وبيوته وأمواله وخدمه وعقاراته... فركب المعاصي!

نادهم اليوم في حُفرهم واسألْ غَنيَّهُم، ماذا بقي من غناه؟

وأسألْ فقيرهم، ماذا بقي من فقره؟

واسألهم عن: الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والعيون الساحرة، والخدود الورديَّة، والشعور الناعمة...

اسألهم: ما صنع بها البلى، وأثَّر فيها الثَّرى؟

وأنت، أيُّها المخاطب: يا ساكنَ القبر غداً.

وأنا، المتكلِّم: يا ساكنَ القبر غداً.

هل نصحبُ معنا الدورَ الواسعة، والأموالَ الوافرة،

والثمار اليانعة، والأطعمة الشهيَّة، والثيابَ الفاخرة الناعمة؟!

هيهات هيهات:

كأنْ قد نزل بنا ما كنَّا عنه نحيد.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[1].

الحكاية الثانية:

غرقت سفينةٌ في البحر ولم ينج منها إلَّا امرأة، تعلَّقت بلوحٍ من ألواح السفينة حتى وصلت إلى جزيرة.

وكان في تلك الجزيرة رجلٌ، لم يتركْ حراماً إلَّا فعله، فلمَّا رأى المرأة هجم عليها، حتى جلس منها كما يجلس الزوج من زوجته، فارتعدت وخافت، قال لها:

مِمَّ تخافين؟

فأشارت بيدها إلى السَّماء، أنَّها تخافُ من ربِّ العالمين.

فقال: أنت تخافين ولم تفعلي شيئاً... فكيف بي وقد فعلتُ كلّ حرام؟ إنِّي أولى منك بالخوف والوجل فقام

---

(1) سورة ق المباركة، الآية ١٩.

عنها، ولم يُحدثْ شيئاً، وتاب إلى الله توبةً نصوحةً صادقةً... وبينما هو يمشي، إذْ به يُصادِفُ عابداً، وقد حميت عليهما الشمس، فقال العابدُ للرجل:

ادعُ الله سبحانه ليبعث علينا غمامةً تُظلّنا، فقال الرجل:

كيف أدعو ربِّي، وليس عندي حسنةٌ واحدة أدعوه بها؟ فقال العابد:

أَدْعو أنا وتُؤمِّن[1] أنت، فدعا... فإذا بغمامة تُظلّهما.

فلمَّا انتهيا إلى مفترق الطريق، وأخذ كلٌّ واحدٍ منهما طريقاً، كانت المفاجأة:

إذ ذهبت الغمامةُ مع الشاب.

فقال العابد: أنت خيرٌ منِّي، أخبرني عن قصَّتك، فأخبره الرجلُ بخبر المرأة، وكيف امتنع عنها مع قدرته على ذلك، خوفاً من الله تعالى.

فقال له العابد: غُفر لك ما مضى بسبب خوفك، فانظر ماذا تفعل في مستقبلك.

---

(١) أي تقول «آمين» لاستجابة الدُّعاء.

الحكاية الثالثة:

كان رسول الله ﷺ يستظلُّ تحت شجرة في يومٍ شديد الحرّ، فإذا بشاب نزع ثيابه وأخذ يتمرَّغُ على الرِمضاء يكوي بها ظهره وبطنه وجبهته، وهو يقول:

يا نفس، ذوقي، فما عند الله عزَّ وجلَّ أعظم ممَّا صنعتُ بك.

ثمَّ، بعد ذلك، لبس الرجل ثيابَهُ... فأومأ إليه النَّبي ودعاه، ثمَّ قال له:

يا عبد الله لقد رأيتُك صنعتَ شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه، فما حملك على ما صنعت؟

فقال الرجل:

حَمَلَني على ذلك مخافةُ الله عزَّ وجلَّ، وقلتُ لنفسي: يا نفس ذوقي، فما عند الله أعظم ممَّا صنعتُ بك.

فقال النَّبيّ ﷺ: «لقد خفتَ ربَّك حقَّ مخافته، وإنَّ ربَّك ليُباهي بك أهل السَّماء».

ثمَّ قال لأصحابه: «يا معاشر مَنْ حضر، ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم».

فدنَوْا منه، فدعا لهم، وقال لهم:

«اللَّهمَّ اجمعْ أمرنا على الهدىٰ، واجعلْ التَّقوى زادنا، والجنَّة مآبنا».

الحكاية الرابعة:

كان في الأُمم السالفة ثلاثة مؤمنين، وكانوا يمشون، إذْ أصابهم مطرٌ، فلجأوا إلى مغارة تحميهم، فانطبقت عليهم.

فقال بعضهم: والله لا يُنْجينا إلَّا بالصِّدق، فَلْيدعُ كلُّ رجلٍ منكم بشيء، كان قد صدق الله تعالى فيه.

فقال الأوَّل: اللَّهمَّ أنت تعلم أنَّه كان لي أجير على شيء من الأرُزِّ، فذهب وتركه، فزرعتُه حتى كثر واشتريتُ بثمنه بقراً.

ثمَّ أتاني الرجل طالباً أجره فقط، فقلت: خُذْ هذه البقر، فقال: لا أُريد إلَّا أجري، فقلت خُذْها كلّها نماءُ أجرك[1]، فأخذها.

وأنت تعلم يا ربِّ أنِّي ما فعلتُ إلَّا خشيةً منك، ففرِّج عنَّا.

---

(١) لأنَّ زيادة الشيء ونماءه يكون لصاحبه الأصلي، كما هو واضح في كتب الفقه الشريف.

فانساحت الصخرة عنها قليلاً.

وقال الثاني: اللَّهمَّ أنت تعلم أنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ آتيهما كلَّ ليلة باللبن[1]، فتأخَّرتُ عنهما ليلة وقد ناما، وخفتُ من إيقاظهما لكي لا أزعجهما، وخفتُ من تركهما وعيالي تنتظر لكي لا يستيقظا فلا يجداني، فانتظرتُهُما حتى طلع الفجر.

وأنت تعلم أنِّي ما فعلتُ ذلك إلَّا خشيةً منك، ففرِّج عنَّا.

فانساحت الصخرة أكثر حتى ظهرت لهم السَّماء.

وقال الثالث: اللَّهمَّ تعلم أنِّي راودتُ ابنةَ عمِّي عن نفسها، وهي أحبُّ الناس إليَّ، فتمنَّعتْ إلَّا أنْ آتيها بمائة دينار، فلما جئتُها بها، وأَمْكَنَتْني من نفسها، وهممتُ بها، قالت: اتق الله، ولا تأخُذْني إلَّا بحقّ.

فقمتُ عنها، وتركتُ لها المائة، وما فعلتُ ذلك إلَّا خشيةً منك، ففرِّج عنَّا.

ففرَّج الله عنهم، ونجوا من هلاك مُحتَّم.

---

(١) الحليب، أمَّا الذي نعرفه اليوم باسم «اللبن» فيُسمَّىٰ اللبن الرائب.

الحكاية الخامسة:

جاء رجلٌ أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: إنّي فعلتُ فعلاً شنيعاً بغلام... فطهّرني، فردَّه الأمير عليه السلام ردّاً جميلاً فلعلَّه موهوم.

وفي اليوم الثاني جاء الرجل وقال: يا أمير المؤمنين فعلتُ كذا... فطهِّرني، فردَّه الأمير عليه السلام أيضاً... حتَّى وقع ذلك أربع مرَّات.

فلمَّا كانت الرابعة، قال له الأمير عليه السلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حكم في مثلك بثلاثة أحكام، فاخترْ أيَّهنَّ شئت:

ضربة بالسيف، أو أن تُرْمىٰ من شاهق مربوط اليدين والرجلين، أو أن تُحرق بالنار فاختار الرجل الإحراق بالنار لأنَّه الأشد.. تطهيراً لذنبه.

فقام وصلَّى ركعتين ثم جلس وقال:

اللَّهمَّ إنِّي قد أتيتُ من الذنب ما قد علمتَهُ، وإنِّي تخوَّفتُ من ذلك، فجئتُ إلى وصيِّ رسولك وابن عمِّ نبيِّك فسألتُه أن يُطهِّرني، فخيَّرني بين ثلاثة أصناف من العذاب، اللَّهمَّ فإنِّي قد اخترتُ أشدَّها، اللَّهمَّ فإنِّي أسألك أن تجعل ذلك كفارةً لذنوبي، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي.

ثم قام وهو باكٍ، وجلس في الحفرة وهو يرى النار تتأجّج... فبكى أميرُ المؤمنين وأبكى أصحابه جميعاً... ثم قال الأمير عليه السلام:

قُمْ يا هذا، فقد أبكيت ملائكة السَّماءِ وملائكة الأرض، فإنَّ الله قد تاب عليك، قُمْ، ولا تُعاودنَّ شيئاً ممَّا قد فعلت[1].

الحكاية السادسة:

في الأثر، أنَّ بَغِياً من بني إسرائيل، خرجت على شباب تفتِنُهم... وقال بعضهم: لو أنَّ العابد الفلاني رآها لَفَتَنْتُهُ.

فسمعت قولهم، وعزمت على الإيقاع بالعابد، فقصدته ليلاً لِتَبيتَ عنده، فرفض،... قالت له: إنَّ بعض شباب بني إسرائيل يلحقون بي يريدون السوء.

فسمع قولها، وفتح لها، فلمَّا دخلت، رمت ثيابها، وأظهرت مفاتنها، فضعُفَ أمامها، وجعل يده عليها... ثمَّ التفت إلى سوء فعله، فتركها لتوِّه، وجعل يده في موقدة

(١) لا بُدَّ من معايشة هذه القصَّة وأمثالها بوضع نفسك مكان أصحابها، وتتخيَّل بماذا أحسُّوا وشعروا.

نار تحت قَدْر له، فقالت له: ماذا تصنع؟ فقال لها: أُحرقها عقاباً لها، وتأديباً، لسوء عملها.

الحكاية السابعة:

ذُكِرَ أنَّ حبشياً سأل رسول الله ﷺ توبةً على فواحش ارتكبها، فبشَّره بالخير، فتاب الحبشي وهمَّ بالمضيِّ إلى سبيله...

لكنَّه استدرك، ورجع، ثم قال:

يا رسول الله، الله سبحانه يراني، وأنا أعمل تلك الفواحش؟

فقال ﷺ: نعم.

فصاح الحبشي صيحة، خرجت فيها نفسُه.

نكتفي بهذا للعبرة والذكرى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

طوبىٰ لأهل الإيمان في آخر الزَّمان

رُوي عن رسول الله ﷺ: «متى ألقى إخواني؟ قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يرَوْني، أنا إليهم بالأشواق»[1].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٤٨٦.

الفهرس